الظواهر البلاغية والأسلوبية في شعر الشيخ محمد موسى الروحاني البازي

محمد دانيال صديقي (باحث قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سرجودها)
د. عبدالصبور (محاضر قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سرجودها)

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الخصائص البلاغية والأسلوبية في شعر الشيخ محمد موسى الروحاني البازي، بوصفه أحد العلماء والأدباء الذين جمعوا بين علوم الشريعة وملكة التعبير الشعري، مظهرًا قدرةً فنيةً على تطويع اللغة في خدمة القيم الدينية والروحية والفكرية. وينطلق البحث من رؤية تحليلية تطبيقية تتتبّع البنية الأسلوبية في شعر الشيخ، وتدرس مظاهرها الفنية من خلال نماذج منتقاة من نصوصه الشعرية.

ويعتمد البحث منهج التحليل النصّي البلاغي والأسلوبي، مستندًا إلى أدوات النقد الأدبي العربي في تتبّع أبرز الظواهر الأسلوبية، ومنها: انتقاء الألفاظ وبناء المعجم الشعري، والإيقاع الخارجي والداخلي بما فيه من تنوع وزني وقافي، وظاهرة التكرار ودلالاتها النفسية والفكرية، إضافة إلى الأساليب الإنشائية ودورها في إضفاء الحيوية على التجربة الشعرية.

كما يتناول البحث الظواهر البلاغية في شعر الشيخ الروحاني البازي، مركّزًا على أدوات التصوير الفني مثل التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، للكشف عن طاقتها التعبيرية في تجسيد المعاني وبناء الدلالة الجمالية، وإبراز البعد الروحي والوجداني في شعره. ويُظهر التحليل حضورًا واضحًا للقيم الأخلاقية والروحية، وميلًا إلى أسلوب الوعظ والإرشاد في إطار أدبي متين وصياغة لغوية تراثية ذات نفَسٍ إيماني رفيع.

وتتوصل الدراسة إلى أن شعر الشيخ الروحاني البازي يتميز بنقاء لغته، ورسوخ بنيته الكلاسيكية، وعمق تجربته الروحية، وقدرته على توظيف الأساليب البلاغية لخدمة المعنى، مما يجعله نموذجًا بارزًا للأدب الإسلامي المعاصر المتصل بجذوره التراثية، والهادف إلى بناء الوعي الأخلاقي والفكري في المتلقي.

الكلمات المفتاحية:

الشيخ محمد موسى الروحاني البازي. البلاغة. الأسلوبية. التصوير الفني. الشعر الإسلامي. القيم الروحية.

مقدمة

الحمد لله الذي شرّف العربية بأن أنزل بها كتابه المبين، وجعلها لسان الوحي والدين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم المعاد

أما بعد

فليست اللغة العربية مجرّد أداة للتعبير، بل هي وعاء الحضارة، وسجلّ الفكر، وروح الأمة. حملت في طيّاتها تراثًا زاخرًا، وشهدت على ولادة أفكار عظيمة، وساهمت في تشييد صروح من العلم والأدب. وإذا كان أبناء العربية قد عمّروا مدينتها، فإن علماء الأعاجم قد بنوا في رحابها قصورًا شاهقة من البيان والمعرفة، فكانت العربية لغةً للعلم قبل أن تكون لغة .قوم

وفي طليعة أولئك العلماء الذين تشرّبوا روح العربية وأبدعوا في ميادينها، يبرز اسم الشيخ محمد موسى الروحاني البازي، العالِم الباكستاني الذي نسج على منوال البلغاء، وخلّد اسمه في صفحات الأدب العربي بما ألّف ونظم وعلّم. لم يكن الشيخ البازي متذوّقًا للأدب فحسب، بل كان مبدعًا فيه، قدّم من خلال قلمه نماذج أدبية تنضح بعمق البيان وصفاء الذوق، وترك بصمة واضحة في علوم النحو والصرف والعروض والبلاغة، فضلاً عن أشعاره التي تنمّ عن روح نقيَّة وأفق فكري سامٍ

وفي هذا الإطار، يأتي هذا البحث الموسوم بـ "الظواهر البلاغية والأسلوبية في شعر الشيخ محمد موسى الروحاني البازي"، ليتناول جانبًا من جوانب الإبداع الأدبي لدى هذا العالم الأديب، الذي جمع بين عمق المعرفة الدينية وصدق التجربة الشعرية.

يهدف البحث إلى تحليل شعر الشيخ من منظورٍ بلاغيٍّ وأسلوبيٍّ، للكشف عن خصائصه الفنية ومقوماته التعبيرية، من خلال دراسة تطبيقية لنماذج مختارة من قصائده التي تتنوّع موضوعاتها بين المديح النبوي، والرثاء، والابتهال، والدعاء، والرمز، والتصوير الفني.

المبحث الأول: حياة الشيخ محمد موسى الروحاني البازي ومسيرته العلمية

وُلد العلّامة الأديب الشيخ محمد موسى الروحاني البازي في قرية "كته خليل"، التابعة لمضافات مديرية ديره إسماعيل خان في إقليم خيبر بختونخوا بباكستان. تنتمي أسرته الكريمة إلى أصول أفغانية تعود إلى منطقة غزني، [1].

ينتمي كلا والدي الشيخ محمد موسى إلى بيت النبوة، إذ يرجع نسبهما إلى السادة من بني هاشم، وهو نسبٌ شريف يتصل بالإمام زين العابدين رضي الله عنه، وكلا أبويه كان ينتسب إلى أسرة بني هاشم من السادات [2] [3]

فقد الشيخ محمد موسى والده وهو لا يزال في مقتبل الطفولة، لم يتجاوز حينها الخامسة من عمره. وقد توفي والده إثر مرضٍ طويل سبّبه احتباس الماء في البطن والمعدة، وهو ما يُعرف طبيًا بالاستسقاء. ورغم صغر سنه، فقد تركت وفاة والده أثرًا عميقًا في وجدانه، وظلت ذكراه حية في قلبه وعقله. [4]

بداية دراسته و انطلاقته الأولي في مِشوار العلم:

بعد وفاة والده، تولّت والدته أمر تربيته وتعليمه، فغمرته بعطفها وغرست فيه حب العلم منذ نعومة أظفاره. وكانت من النساء الذاكرات، المداومات على الطاعة، فحرصت على تنفيذ وصية زوجها بأن يُوجَّه ولدها نحو العلوم الدينية.

وخلال هذه الفترة، كان يجمع بين طلب العلم وخدمة والدته، فيقوم بأعمال شاقة كجمع العلف للدواب وجلب الماء من أماكن بعيدة، تصل أحيانًا إلى مسافة ثلاثة أميال، مما يدل على مدى انضباطه وتحمله للمسؤولية منذ الصغر [5].

المسيرة العلمية

بدأ الشيخ محمد موسى تعليمه في قريته، فدرس على أيدي بعض علماءها الكتب التقليدية التي كانت شائعة آنذاك، مثل: جلستان، وبوستان للشاعر سعدي الشيرازي. ثم بدأت رحلة الشيخ محمد موسى الروحاني البازي في طلب العلم مبكرًا، إذ غادر قريته وهو في سن الحادية عشرة، استجابةً لتوجيه بعض العلماء الذين لمسوا فيه نبوغًا واستعدادًا للعلم. وكانت أولى محطاته التعليمية في بلدة عيسى خيل، حيث تلقى علم الصرف وحفظ عددًا من المتون في فترة قصيرة، وذلك على يد الشيخ محمد، وتحت إشراف المفتي محمود، أحد العلماء المعروفين انذاك.

تابع الشيخ البازي دراسته في قرية أباخيل الواقعة ضمن مديرية بنو ، حيث واصل تحصيله العلمي في علوم النحو والصرف والمنطق على يد كل من المولوي جان محمد والمفتي محمود. وتمكّن في هذه المرحلة من إتمام دراسة كتب الصرف حتى الفصول الأكبرية، وكتب النحو حتى الكافية.

---

(1) الروحاني البازي محمد موسى، بغية الكامل ص ١٢ ط ٢٠٠٦

.(2) المرجع نفسه، ص 13

(3) فيوض الرحمن، علماء سرحد کی تصنیفی خدمات، ط. فرنیشر پبلشنگ، ص 167.

(4) الروحاني البازي، بغية الكامل، ص 12، ط. دار القلم، 2006.

(5) الروحاني البازي، بغية الكامل،ص 14؛ الحسن، مارس 2007، ص 158. العدد الخاص من "جامعة أشرفية لاهور"

بعد ذلك، انتقل إلى قرية عبدالخيل، حيث أقام فيها نحو سنتين بصحبة المفتي محمود، فدرس هناك كتبًا متقدمة في مختلف العلوم، منها: شرح الجامي، ومختصر المعاني، وكتب المنطق حتى سُلَّم العلوم، والمقامات الحريرية، وأصول الشاشي، وشرح الميبذي على هداية الحكمة، وشرح الوقاية في الفقه، إلى جانب بعض كتب القراءات والتجويد [1].

ثم ارتحل الشيخ إلى أكوره ختك، وهي بلدة مشهورة تابعة لمحافظة نوشهره في إقليم خيبر بختونخوا، والتحق هناك بجامعة دار العلوم الحقانية، ومكث في هذه الجامعة نحو سنتين، تلقى خلالها علوم المنطق والفلسفة، إلى جانب دراسته للطبيعيات والإلهيات، وعلم الميراث، وأصول الفقه، وعلوم الأدب العربي.[2].

تخرجه:

اختتم الشيخ البازي مشواره الدراسي في مدينة "ملتان"، حيث التحق بـ"جامعة قاسم العلوم"، وأمضى فيها ثلاث سنوات. نهل خلالها من علوم الشريعة على اختلاف فروعها، من الفقه والحديث إلى أصول الفقه، والتفسير، والتجويد، والقراءات السبع، بالإضافة إلى الفلسفة والمنطق. وتخرج من هذه الجامعة وقد أُحيط بموسوعية علمية فريدة تجمع بين العلوم العقلية والنقلية [3]

مسيرته في التدريس.

بعد أن أنهى الشيخ البازي رحلته المباركة في طلب العلم، انتقل إلى ميدان العطاء العلمي، فشرع في التدريس في عدد من الجامعات الإسلامية الكبرى في باكستان، ناشرًا نور العلم، ومُحييًا روح الفقه والحديث والتفسير بين طلابه.

وكانت أولى محطاته التعليمية في جامعة "مطلع العلوم" ببلدة "كويته" التابعة لإقليم بلوشستان، حيث تولّى منصب رئيس جميع الشيوخ والمدرّسين، ثم انتقل إلى بلدة "بوريواله" في إقليم "البنجاب"، ليُعين هناك رئيسًا للمدرّسين في جامعة إسلامية أخرى، [4].

ولم يلبث أن عاد إلى جامعة قاسم العلوم في ملتان، الجامعة التي تلقى فيها تعليمه من قبل، ليُدرّس فيها هذه المرة من موقع الأستاذية العليا. وقد وصفه معاصروه بأنه كان "الأستاذ الأعلى"، إذ انهمك في خدمة الدين، وسقى الأرواح العطشى من معين العلم الصافي، حتى ذاع صيته واشتهر بعمق علمه وثباته، وامتد أثره إلى أرجاء البلاد كافة.

وفي عام 1971م، انتقل الشيخ إلى جامعة الأشرفية[5]، حيث تولّى تدريس صحيح الترمذي، فكان مجلسه نورًا يضيء القلوب، وعلمًا يفيض على العقول، واستمر في أداء هذه المهمة النبيلة مدة 27 عامًا، حتى عام 1998م، تاركًا أثرًا عميقًا في نفوس آلاف الطلاب الذين تتلمذوا على يديه [6].

وقد عُرف هناك بشيخ التفسير والحديث والفقه والفنون، لما جمعه من رسوخ علمي وتنوّع في المعرفة، وسموّ أخلاقي، جعله منارةً في التعليم والدعوة.

سعة علومه وتبحّره المعرفي

كان الشيخ محمد موسى الروحاني البازي – رحمه الله – ممن جمع الله لهم بين الحافظة القوية والعقلية التحليلية، فغدا موسوعيًا بحق، لا يعرف للكسل سبيلًا، ولا للجمود مكانًا. وقد تفضّل الله عليه بفهم عميق لمختلف العلوم الشرعية والعقلية، حتى أقرّ هو بذلك في بعض مصنفاته، لا افتخارًا ولا رياءً، بل شكرًا لنعم الله عليه وتذكيرًا بفضله،

---

(1) بغية الكامل، ص 14؛ الحسن، ص 158–159.

(2)نفس المصدر.

(3) الروحاني البازي، محمد موسى، البركات المكية في الصلوات النبوية، 2013م، إدارة التصنيف والأدب، لاهور – باكستان، ص 41

(4) بغية الكامل، ص 15

(5) الروحاني البازي، بغية الكامل، ص 12، ط. دار القلم، 2006.

(6) الحسن، عدد مارس 2007، ص 160

فقال:"ومما منّ الله تعالى على التبحر في العلوم كلها النقلية والعقلية: من علم الحديث، وعلم التفسير، وعلم الفقه، وعلم أصول التفسير، وعلم أصول الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم العقائد، وعلم التاريخ، وعلم الفرق المختلفة، وعلم اللغة العربية، وعلم الأدب العربي المشتمل على اثني عشر فنًّا وعلمًا كما صرّح به الأدباء، وعلم الصرف، وعلم الاشتقاق، وعلم النحو، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم قرض الشعر، وعلم المنطق، وعلم الفلسفة الأرسطوية اليونانية، والإلهيات من الفلسفة اليونانية، والطبيعيات من الفلسفة اليونانية، والسماء والعالم، وعلم الرياضيات من الفلسفة اليونانية، وعلم تهذيب الأخلاق، وعلم السياسة المدنية من الفلسفة، وعلم الهندسة – أي علم إقليدس اليوناني – وعلم الأبعاد، وعلم الأكر، وعلم اللغة الفارسية، والأدب الفارسي، وعلم العروض، وعلم القوافي، وعلم الهيئة – أي علم الفلك البطليموسي اليوناني – وعلم التجويد للقرآن، وعلم ترتيل القرآن، وعلم القراءات."[1] ويكفي هذا النص شاهدًا على تبحّره في العلوم، وتضلعه في المعارف الإسلامية والكونية، مما يجعله في مصاف العلماء الموسوعيين الذين قلّ أن يجود الزمان بمثلهم، خصوصًا في هذا العصر.

التأليف والمكانة العلمية

ألف الشيخ موسى الروحاني البازي رحمه الله كتباً عديدة في كل من اللغات الأردية والعربية، والفارسية، والبشتوية. ومصنفاته العربية أكثر من خمسين كتاباً، فمن أشهرها:

1) فتح الله بخصائص اسم الله.
2) الكنز الأعظم في تعيين الاسم الأعظم.
3) أثمار التكميل لما في أنوار التنزيل
4) شرح الجامع للترمذي.
5) فتح العليم بحل إشكال التشبيه العظيم في حديث كما صليت على إبراهيم.
6) قصيدة طوبي في أسماء الله الحسنى.
7) قصيدة حسنى في أسماء النبي العظمى.
8) فتح الصمد بنظم أسماء الأسد.
9) النجم السعد في مباحث أما بعد.
10) لطائف البال في الفروق بين الأهل والآل.
11) بغية الكامل السامي شرح المحصول والحاصل للملاجامي.
12) الرياض الناضرة شرح محيط الدائرة.
13) مرآة النجباء في تاريخ الأنبياء.
14) التحقيق في الزنديق.
15) التعليقات على القاضي المبارك.
16) التعليقات على سلم العلوم لمحب الله البهاري.
17) نيل البصيرة في نسبة سبع عرض الشعيرة.
18) الهيئة الكبرى مع شرحها سماء الفكرى.
19) الهيئة الوسطى مع شرحها النجوم النشطى.
20) الهيئة الصغرى مع شرحها مدار البشرى
21) الفلكيات الجديدة.

22) ترغيب المسلمين
23) تنبيه العقلاء على حقوق النساء.
24) كتاب عبد الفطر وسير القمر.
25) إعلام الكرام بأحوال الملائكة العظام.
26) العيون الناظرة مقدمة الرياض الناضرة.
27) القمر في الإسلام وفي الهيئة الجديدة والقديمة..
28) قصة النجوم.
29) رسالة حركات القمر
30) رشحات القلم في الفرق بين المصدر الصريح والمؤول.
31) نعم الدول في أسرار لفظة القول.
32) النفحات القدسية في أن الأحاديث حجة في القواعد العربية.
33) كتاب الدعاء
34) كتاب المكثرين من العبادة
35) الكلم التي تكون اسماً وحرفاً أو حوتا قسمين أو ثلاثاً.
36) الطريق العادل حاشية على بغية الكامل.
37) شرح ديوان المتنبي.
38) شرح صحيح مسلم
39) كتاب لطائف الفوائد
40) كتاب المتفرقات.
41) أحوال الصالحين والزاهدين
42) الحكايات العلمية.
43) رسالة في تعريف البلاغة والفصاحة وأقوال العلماء في ذلك.
44) رسالة في عمل الاسم الجامع.
45) ديوان شعر طبع متفرقاً.
46) وجوه تقسيم الدائرة ثلاثمائة وستين جزءاً.
47) الفرق بين الفلك والسماء في الإسلام والهيئة الحديدة والقديمة. [1]

[1] عبدالله ، محمود محمد – اللغة العربية في باكستان ص 461
وهناك العديد من المؤلفات باللغة الأردية والفارسية منها المخطوط والمطبوع.

(1) الإسهامات الأدبية في الشعر العربي

برز الشيخ محمد موسى الروحاني البازي — رحمه الله — كشاعر رباني استطاع أن يمزج بين العلم والروحانية، وبين البيان العربي الأصيل والذوق الصوفي العارف. فجاءت تجربته الشعرية تجربة متميزة في موضوعها ومبناها، اتسمت بتنوع أغراضها، وعمق معانيها، وجزالة ألفاظها، مع عناية فائقة بالأسلوب الرفيع والصور البلاغية المبتكرة، وفي هذا الموضع نتناول عرضًا موجزًا لقصائده.

قصيدة طوبي في أسماء الله الحسنى: هذه القصيدة تعد تحفة فنية فريدة، نظم فيها الشيخ أسماء الله الحسنى بأسلوب بديع وبليغ. ففيها تتجلى عبقريته في استخدام اللغة العربية ومكنونه المعرفي بكتاب الله و الأسماء الحسنى وصفات الله جل وعلا. استخدم الشيخ في هذه القصيدة بحر الوافر وقد جمعها و نظمها ببراعة فائقة وتتجلى فيها قربه من الله وخشيته وتذكره لله عز وجل، وعرض أسماء الله بطريقة مميزة وبأسلوب أدبي فريد. وتجعل المستمع والمتذوق للقصيدة يقف وقفة إجلال وتوقير في خشوع ورقة لذكر الله تعالى..(2)

- **قصيدة حسنى في أسماء النبي العظمى:** هذا القصيدة في غاية الروعة، جمع فيها الشيخ 521 اسماء من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه بأخلاقه العظيمة وصفاته الكاملة محتوية على 169 شعرا. وقام بتعداد محاسنه وسيرته العطرة مع إظهار مشاعره العظيمة تجاهه صلوات الله وسلامه عليه. لقد أبدع الشيخ رحمه الله تعالى في صياغة هذه القصيدة مستخدما فيها كل الطاقات الأدبية التي وهبه الله إياها. . (3)

هذه القصيدة المباركة مفيدة جدا في قضاء الحوائج إذا قرءت كل يوم حيث تشتمل على خمسمائة وأحد وعشرين اسما من أسماء النبي العظمى بصورة الدعاء، جربت هذه الفوائد آلاف من العلماء وعامة المسلين في جميع نواح العالم .

إن الشيخ البازي قد أتى في هذه القصيدة الاسماء من اللغات الأخرى وكانت هي في الكتب السابقة مثل التوراة والانجيل والزبور من السريانية والعبرانية والرومية وهذا يدل على كثره اطلاعه على العلوم الأخرى. .

- **فتح الصمد في نظم أسماء الأسد:** تعتبر هذه القصيدة عملًا فريدًا من نوعه، بل هي من نوادر الشعر العربي، جمع فيها الشيخ ما يزيد على ستمائة اسم من أسماء الأسد ومشتقاتها. وقد نظم الشيخ هذه القصيدة في رثاء شيخه الشيخ عبد الحق، ليصف قوته وجراءته وشجاعته وتفرده. تجلت براعة الشيخ هنا في استخدام التشبيه والاستعارة . (4)

- **رثائيات الشيخ:** قام الشيخ رحمه الله بإنشاء قصائد في الرثاء لمجموعة من العلماء الأفاضل والمجاهدين الكبار والقياديين في الامة الإسلامية. وتعد هذه المرثيات دليلا قويا على قوة إحساسه وبلاغته وإجادته لأغراض الشعر المتعددة مع المقدرة العظيمة في استخدام الألفاظ المنسابة التي توفي مقام المديح والإطراء المطلوب مع الالتزام بالأدب الشرعي والعربي. ومن بين قصائده المرثية ما يلي:

- **رثاء جمال عبد الناصر:** (5) عبر الشيخ في هذه القصيدة عن حزنه وأسفه الشديد لوفاة الزعيم العربي الراحل جمال عبد الناصر. وقد بين فيها صفاته القيادية وحبه للأمة الإسلامية، وذلك بطريقة تعكس إعجاب الشيخ بهذا القائد.

---

(1) البازي، البركات المكية في الصلوات النبوية، ط. 38، إدارة التصنيف والأدب، لاهور، 2013م، ص 41.

(2) محمد موسى الروحاني البازي، قصيدة طوبى في أسماء الله الحسنى، إدارة التصنيف والأدب، لاهور ، لاهور،

(3) محمد موسى الروحاني البازي، قصيدة الحسنى في أسماء النبى العظمى ، ط. 1، إدارة التصنيف والأدب، لاهور.

(4) محمد موسى الروحاني البازي، قصيدة فتح الصمد فى نظم أسماء الأسد، إدارة التصنيف والأدب، لاهور .

(5) مجلة الحق ، المجلد 6، العدد ٢-١ (شعبان – رمضان ١٣٩٠ه / أكتوبر نوفمبر ١٩٧٠م) : ص ٥٩-٦٣.)

كما أنه تمنى لأمته الوحدة والإتحاد بعد فقدان قائدهم و حذر من الفتن. وقد ظهر في هذه القصيدة ما عرف به الشيخ من قوة الأسلوب والجزالة والوصف الجميل والمعاني المؤثرة.

- **رثاء العلامة الحافظ حبيب الله المهاجر المدني ثم المكي:** (1) في هذه القصيدة يبين الشيخ البازي مدى حزنه لفقد هذا العالم الكبير. وينبه فيها إلى فضل مدينة مكة المكرمة وفضل أهلها. ويصف الفقيد بالزهد والعبادة والإخلاص. كما يتجلى فيها قوة الشيخ وأسلوبه الفريد المفعم بالتضرع إلى الله سبحانه.
- **رثاء شيخ المشائخ إمام المعقول مولانا محمد رسول خان:** (2) يبين في هذه القصيدة تأثر الشيخ بفقد شيخ المشايخ مولانا محمد رسول خان، وعرض مناقبه الحميدة وفضائله المتعددة بأسلوب حزين، واستعمل لذلك الكثير من الصور البيانية البليغة التي توضح تأثره العميق بفقدان هذا العالم الجليل.
- **قصيدة ذكر مشائخ ديوبند دموع الحسرة من فراقهم:** (3) وفيها يتأثر الشيخ بمشايخ ديوبند وما تركوه من الأثر البالغ في قلبه. وذلك يبين لنا كيف كان يكن الشيخ محبة و تقديرا لهؤلاء الأفاضل من علماء الدين و خاصة علماء الهند و باكستان الذين كانت لهم أفضال كبيرة على الامة الإسلامية. وفي هذا النص يعبر عن الحزن الكبير لفقدهم وأثره البالغ في نفسه وقلبه.
- **القصيدة الترحيبية:** وهي قصيدة عربية رحب بها الضيف المحترم فضيلة الشيخ مولانا القاري محمد طيب المدير العام الدار العلوم ديوبند بمناسبة الاحتفال السنوي لدار العلوم الحقانية أكوره ختك في ١٧ ربيع الثاني ١٣٧٨ هـ (4)

(1) مجلة أنوار مدينة ، (عدد محرم ١٣٩٣) من ٤٣ - ٤٤

(2) فيوض الرحمن (الدكتور) : مولانا محمد رسول خان رحمه الله، ص ١٤٧-١٥١

(3) مجلة صحيفة نور كاندهله 2001 م ١٤٢١ هـ ص 42/41/40/39

(4) مجلة أنوار مدينة ، (عدد محرم ٥١٣٩٣) : من ٤٤ إلى ٤٣

المبحث الثاني: الظواهر الأسلوبية في شعر الشيخ محمد موسى الروحاني البازي

يتجلى في شعر الشيخ محمد موسى الروحاني البازي أسلوبٌ رفيع يجمع بين الجزالة التراثية والروح الدينية العميقة، ويتأسس على عناصر أسلوبية واضحة، أبرزها: اختيار الألفاظ والمعجم، والإيقاع والقافية والوزن، والتكرار، والأساليب الإنشائية، الأمر الذي أسهم في بناء نَفَس شعري مفعم بالخشوع والصدق الشعوري والسمو الروحي.

اختيار الألفاظ والمعجم الشعري

يتميز الشيخ باختيار مفرداتٍ ذات طابعٍ إيماني وروحاني وشرعي، تُعبّر عن قربه من الله تعالى وتعلقه بأسماءه وصفاته، كما يظهر بوضوح في قصيدته "طوبى في أسماء الله الحسنى" حيث ينتقي ألفاظًا مُهيبة تُناسب المقام الإلهي، فيبرز أثر القرآن والسنة في معجمه الشعري، وتلوح في شعره معاني الجلال والتسبيح والخضوع والخشية تتجلى عبقريته في نظم أسماء الله الحسنى بأسلوب بديع، وبعبارات نقية تحمل روح التضرع والتقديس، مما يجعل المتلقي يقف بإجلال وخشوع أمام قدسية المقام.

وفي قصيدته "حسنى في أسماء النبي العظمى" تتجلى المفردات المشرقة المفعمة بالمحبة النبوية، إذ نظَم فيها 521 اسمًا من أسماء النبي ﷺ، مستحضرًا ألفاظًا من العربية ومن اللغات السريانية والعبرانية والرومية، مما يعكس سعة معجمه واطلاعه العلمي الواسع وتراثه اللغوي المتنوع.

أما في "فتح الصمد في أسماء الأسد" فقد تشكل معجمه من مفردات القوة والبأس والشجاعة، فاستقى أكثر من ستمائة اسم للأسد تعبيرًا عن صفات الشجاعة والبطولة في رثاء شيخه، مما يشير إلى تمكنه من مفردات الفحولة اللغوية وفنون اللغة التراثية

الإيقاع والقافية والوزن

اعتمد الشيخ البحور الخليلية، وغلب عليه في قصائده الطويلة البحر الوافر، كما في قصيدة طوبى، لما يتيحه من انسياب موسيقي ملائم للتسبيح والذكر. ويظهر لديه التزامٌ وثيق بالقافية الموحدة التي تمنح النص قوة إيقاعية رنانة، وتؤكد روح الانسجام والتناغم الصوتي. وتمتزج الموسيقى الداخلية في شعره عبر التكرار اللفظي والحروف المتماثلة، بما يحقق إيقاعًا روحانيًا مؤثرًا يصل المتلقي بعالم الصفاء والسكينة.

التكرار

يكثر التكرار في شعره عمداً لتوكيد المعنى ورفع مستوى التأثير الروحي، ويتجلى ذلك بوضوح في قصيدتي الأسماء الحسنى والأسماء النبوية حيث يأتي التكرار على مستوى الأسماء والأدعية والصيغ الإنشائية، فيمنح النص إيقاعًا تعبديًا يشبه الأذكار والأوراد، ويجعل المتلقي يعيش حالة وجدانية عالية، إذ يتحول الشعر إلى عبادة ولجوء وذكر.

كما يظهر التكرار في مراثيه مثل

رثاء جمال عبد الناصر

رثاء الحافظ حبيب الله المهاجر المدني ثم المكي

رثاء شيخ المشائخ مولانا محمد رسول خان

حيث يكرر ألفاظ الحزن والفقد والثناء، لتجسيد عمق الوجدان وأثر الفقد في نفسه۔

الأساليب الإنشائية

تكثر في شعره الأساليب الإنشائية مثل النداء والدعاء والتمني والاستفهام الإنكاري، خاصة في القصائد ذات النفس الدعوي والروحي، كما في طوبى وحسنى، فتجد

نداءً لله تعالى وأسمائه الحسنى

نداءً للنبي ﷺ واسترحامًا وتذللًا

نداءً إلى الأمة في مراثيه يحثها على الوحدة ويُحذّرها من الفتن وتأتي الأساليب الإنشائية عنده محملة بالعاطفة والإخلاص، فتضفي على القصيدة حياةً نابضة وتأثيرًا إيمانيًا صادقًا كما يظهر في قصيدته الترحيبية لشيخ ديوبند مولانا محمد طيب حسن استخدامه لأسلوب المدح والثناء والاستقبال الحار بلغةٍ عربيةٍ فخمة، تدل على مكانته العلمية وذوقه الأدبي الرفيع.

خلاصة

إن شعر الشيخ البازي يجمع بين فخامة اللغة، وقوة الإيقاع، وصدق الشعور، وروحانية المعنى، ويُجسد قدرة فريدة على توظيف الأدوات الأسلوبية لخدمة المقاصد الإيمانية والوجدانية، في إطار أدبيٍ أصيلٍ يربط بين التراث الروحاني والتجربة الشعرية العميقة.

المبحث الثالث: الصور البلاغية في شعر الشيخ الروحاني البازي

وفي هذا الفصل نتناول الصور البلاغية والفنية في شعر الشيخ محمد موسى الروحاني البازي، إذ يتجلّى في شعره ثراءٌ بلاغي واضح، يتنوع بين التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، إلى جانب أساليب إنشائية وصور فنية تعبّر عن عمق تجربته الإيمانية وشدة ارتباطه بالله تعالى ورسوله ﷺ، وتعلقه بأهل العلم والفضل.

ونظراً لغزارة شعره وكثرة ما تضمنه من إبداع، فقد اخترنا من كل قصيدة نماذج مختارة تمثل أبرز الظواهر البلاغية فيها، وذلك حسب السياق الفني الذي جاءت فيه، مع بيان جمال العبارة ودقة اختيار الألفاظ وانسجام الإيقاع والمعنى. .وسنعرض هذه النماذج بأسلوب تحليلي يوضح نوع الصورة البلاغية وأثرها الفني والدلالي في النص.

وبناءً على ذلك، نبدأ نعرض نماذج بلاغيّة من شعره، من خلال تحليل بعض الأبيات من قصائده المختلفة نذكر أولا الشهيرة "طوبى" في أسماء الله الحسنى، حيث تظهر في هذه الأبيات معالم الإبداع التصويري والتناسق الإيقاعي والمزج بين معاني الألوهية والرجاء والتوحيد.

يقول الشيخ البازي في قصيدة طوبى..(1)

فَيَـــا رَزَّاقَنَـــا الْوَهَّـــابِ خَيْـــرًا وَرَازِقَنَـــا وَكُنْـــتَ بِـــهِ ضَـــمِيْنَا

يتوجه الشيخ في هذا البيت بالدعاء إلى الله، فيناديه بأسمائه الحسنى: الرزاق الوهاب الرازق، ويسأله الخير، ويقر بأن الله ضمين بالرزق لعباده. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [2]. ويلاحظ في هذا البيت جمال النداء في "فيا رزاقنا"، مما يبرز التضرع والابتهال.

مُصَـــوِّرَنَا ويَـــا تَـــوَّابُ فَـــارْحَمْ عَلَـــى الشَّـــادِي وَحِـــزْبِ الْقَارِئِيْنَـــا

يواصل الشيخ دعاءه في هذا البيت، فيخاطب الله بأنه المصور الذي صور الخلق، والتواب الذي يتوب على عباده، ويسأله الرحمة له ولمن ينشد هذه القصيدة ويقرؤها. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾[3] ويظهر في هذا البيت جمال النداء في "ويا تواب"، مما يبرز التضرع والابتهال.

خَفِـــيَّ اللَّطْـــفِ أَدْرِكْنِـــي بِلُطْـــفِ خَفِـــي أَنْـــتَ خَيْـــرُ الْمُـــدرِكِينَا

(1) محمد موسى الروحاني البازي، قصيدة طوبى في أسماء الله الحسنى، ص 14،15،16إدارة التصنيف والأدب، لاهور

(2) الذاريات: 58

(1) الحشر: 24.

يختم الشيخ دعاءه في هذا البيت، فيخاطب الله بأنه خفي اللطف، ويسأله أن يدركه بلطفه الخفي، فهو خير المدركين. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [1]ويلاحظ في هذا البيت جمال الجناس بين "خفي" و"خفي"، والإضافة في "خير المدركين"، مما يضفي جمالاً على البيت.

حَـــوَى أَسْـــمَاءَكَ الْحُسْـــنَى نَشِـــيدِي كَعِقْـــدِ زَانَ جِيـــدَ الْحُـــوْرِعِيْنًـــا

يشير الشيخ في هذا البيت إلى أن قصيدته قد جمعت أسماء الله الحسنى، وشبهها بالعقد الذي يزين جيد الحور العين. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [2] ويظهر في هذا البيت جمال التشبيه في تشبيه القصيدة بالعقد، مما يبرز جمال القصيدة وقيمتها.

فَغَـــوَّرَتْـــمَّ انْجَـــدَ فِـــي الْأَرَاضِـــي وَشَـــرَّقَ ثُـــمَّ غَـــرْبَ مُسْـــتَبِيْنَا

يبين الشيخ في هذا البيت انتشار قصيدته في الأرض، فقد وصلت إلى الأغوار والنجود، وإلى المشرق والمغرب، وأصبحت واضحة مستبينة. ويظهر في هذا البيت جمال الطباق بين "غور" و"أنجد"، وبين "شرق" و"غرب"، مما يبرز انتشار القصيدة في كل مكان.

وَصَـــافحَ كُـــلَّ أذْنٍ قَبْـــلَ اذْن وَعَـــانَقَ كُـــلَّ قَلْـــبِ السَّـــامِعِيْنَا

يواصل الشيخ بيان انتشار قصيدته وتأثيرها، فقد صافحت كل أذن قبل أن يؤذن لها، وعانقت قلوب السامعين. ويظهر في هذا البيت جمال الاستعارة في تشبيه القصيدة بإنسان يصافح ويعانق، مما يبرز تأثير القصيدة في النفوس.

فَيَـــا اللَّهُـــمَّ وَفَقْنَـــا بِخَيْـــرٍ وَمَـــا يُرْضِـــيْكَ إِرْضَـــاءُ أَمِيْنَـــا

ويُلاحظ في هذه الأبيات أنّ الشيخ البازي قد جمع بين الجمال البلاغي والمعنى العقدي، فجعل من قصيدته طوبى تجسيدًا فنيًا لمعاني الأسماء الحسنى الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية. فهو لا يكتفي بذكرها على سبيل التعداد، بل يوظفها في سياق تعبدي مؤثر يعبّر عن التوحيد والإيمان والرجاء. فجاءت الأسماء في أبياته – مثل الرزاق، الوهاب، المصور، التواب، خفيّ اللطف – متسلسلة في نسقٍ شعري يفيض بالخشوع والتضرع، مما يحوّل القصيدة إلى مناجاة وجدانية تفتح للقارئ باب التأمل في صفات الله تعالى.

كما يبرز من خلال هذا الجمع الواسع سعة اطلاع الشيخ ومعرفته الدقيقة بمعاني الأسماء وصفاتها، وقدرته على الربط بين دلالاتها العقدية وبين البناء البلاغي الذي يخدمها. فكل اسم من الأسماء يأتي في موضعه المناسب، مؤكدًا قدرة الشاعر على تطويع اللغة لخدمة الفكر الديني، مع المحافظة على إيقاع موسيقي منسجم يعبّر عن روح الذكر والعبادة.

إنّ قصيدة طوبى بهذا المعنى لا تُعدّ مجرد عملٍ شعري، بل هي نص تعبدي فني يجمع بين الجلال اللغوي والجمال الإيماني.

ويُلاحظ في هذه الأبيات أيضًا أنّ الشيخ جمع بين جمال النداء وحرارة الدعاء، فبدأ أبياته بصيغٍ خطابية تفيض خضوعًا وتضرعًا، مثل قوله: فيا رزاقنا، وويا تواب، وخفيّ اللطف، مما أضفى على القصيدة نغمة روحية تنبض بالخشوع.

كما تتنوع الصور البلاغية في هذه الأبيات يشير الشيخ في هذه الأبيات إلى أن قصيدته قد جمعت أسماء الله الحسنى، مشبهًا إياها بالعقد الذي يزين جيد الحور عينًا، مستلهمًا قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾. وقد انتشرت هذه القصيدة في الأرض، من الأغوار والنجود إلى المشرق والمغرب، واضحة مستبينة، مستخدمًا الطباق بين "غور" و"أنجد" و"شرق" و"غرب" لإضفاء الإيقاع والحيوية على النص. كما وظف الشيخ الاستعارة، فشبّه القصيدة بإنسان يصافح ويعانق كل أذن وكل قلب سامع، ما أضفى على النص عمقًا معنويًا وجمالًا فنيًا.

(2) الشورى 19.

(3) [الأعراف: 180].

ويُبرز هذا المقطع مدى قدرة الشيخ البازي على الجمع بين الفكر والخيال، ودمج القداسة بالبيان، فكانت لغته وسيلةً للذكر والدعاء، وصوره أداةً لتصوير التجلي الإلهي في وجدان العبد.

يقول الشيخ البازي في قصيدة الحسنى في أسماء النبيّ العظمى(1)

وَصَـــاحِبُ كَـــوْثَرِالْبَـــارِي فَيَسْـــقِي كِرَامًـــا مِّنْـــهُ نِعْـــمَ الْمُسْـــتَقِونَا

وَصَـــاحِبُ حَوْضِـــهِ الْمَـــوْرُودِ نَرْجُـــو لَـــهُ كَأْسًـــا دِهَاقًـــا وَارِدِينَـــا

رَؤُوفٌ سَـــيِّدُ الْكَـــوْنَيْنِ هَـــادٍ وَمَهْـــدِيٌّ وَسَـــابِقُ سَـــابِقِينَا

وتَنْزِيـــلٌ وَضَـــحَاكٌ ضَـــحُوكٌ ومُصْـــلِحُ مَـــا عَســـَى أَنْ لَا يَكُونَـــا

عَلَامَـــةُ قُـــدْرَةِ الْبَـــارِي فَـــلَاحٌ مُقَـــدِّمُنَا شِـــفَاءُ الْمُفْلِحِينَـــا

مُيَسِّـــرُ شَـــرْعِهِ عَمَـــلًا وَفَجْـــرٌ وَمُخْبِـــرُ حُكْـــمِ مَـــا لَا يَعْلَمُونَـــا

حَلِـــيمٌ عُـــدَّةٌ وَمُبِيـــدُ شَـــرٍّ وَقَـــدْ مَـــلَأَ السُّـــهُولَةَ وَالْحُزُونَـــا

وتكشف هذه الأبيات من قصيدة الحسنى في أسماء النبيّ العظمى عن قدرة الشاعر على استدعاء طاقات اللغة في مقام المديح النبوي، حيث يجمع بين التوقير الروحي والثراء الأسلوبي في آنٍ معًا. ويعتمد الشيخ على تراكم الصفات والنعوت الواردة في القرآن الكريم والسيرة النبوية، موظِّفًا التكرار التعدادي في سياق تصاعدي يُبرز شرف المخاطَب وعلو مقامه،، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[2] ويصفه مثل قوله رؤوف، سيد الكونين، هادٍ، مهدي، سابق سابقينا. وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [3] وهذا التكرار ليس مجرّد زخرفة لفظية، بل يحمل دلالة تعظيم وتمكين للمعنى عبر توالي الصفات وتكاثرها.

كما يُلاحظ حضور التشبيه الضمني والرمز العقدي في قوله وصاحب كوثر الباري فيسقي كرامًا، إذ يستدعي مشهد الشفاعة والكوثر بطريقة إيحائية تجمع بين استحضار المعنى القرآني والتصوير الوجداني، مما يهب النص بعدًا روحياً عاليًا. وفي قوله وصاحب حوضه الموروود نرجو له كأسًا دهاقًا واردينا يبرز التخييل التصويري للمشهد الأخروي، مع الاعتماد على ألفاظ موحية بالرّي والفيض والامتلاء، ما يمنح الصورة حيوية وأثرًا شعوريًا واضحًا.

ويظهر كذلك التقابل الدلالي بين صفات اللين والقوة: رؤوف. مبيد شر، وهي بنية تتناغم مع مبدأ الكمال المحمدي الجامع بين الرحمة والهيبة. وتدل تراكيب من قبيل مخبر حكم ما لا يعلمونا ومصلح ما عسى أن لا يكونا على الاستعارة المكنية التي تُسند أفعالًا كونية وإصلاحية للنبي ﷺ، بما يشير إلى دوره في هداية العالم وإقامة العدل وإصلاح الفساد.

بهذه الأدوات البلاغية تتجلّى براعة الشاعر في بناء صورة شاملة للنبي ﷺ، تتسم بالرؤية الروحية العميقة، والتكثيف الدلالي، والمزاوجة بين المرجعية النصيّة والتخييل الشعري، فتغدو الأبيات بمثابة مشهد مديحي جامع يفيض بالقداسة والمحبة والخشوع

- **تأتي هذه الأبيات ضمن قصيدة الشيخ محمد موسى الروحاني البازي "فتح الصمد في نظم أسماء الأسد"**،(4)

(1) محمد موسى الروحاني البازي، قصيدة الحسنى في أسماء النبى العظمى ، ص23،22،21 ط. 1، إدارة التصنيف والأدب، لاهور.

(2) الكوثر: 1.

(1) التوبة 128

(2) محمد موسى الروحاني البازي، قصيدة فتح الصمد فى نظم أسماء الأسد، ص18،17 إدارة التصنيف والأدب، لاهور .

هذه القصيدة في رثاء شيخه الشيخ عبد الحق، وهي من مراثيه التي يجمع فيها بين الحسّ العلمي الروحاني والقدرة الفنية التراثية. وتظهر فيها بوضوح خصائص بيانه البلاغي، قائمًا على التكثيف الدلالي، والصور المركّبة، والرمزية الموحية

وهـذي الكتـب والأقـلام مـع دار العلـوم بكـت	ويبكـي العقـل ثـم النقـل إذ مـات مقرمنـا
وَيَبْكِي الطَّيْرُوَالحِيتَانُ ثُمَّ السَّهْلُ مَعَ جَبَلِ	وَيَبْكِي الجِنُّ ثُمَّ الإِنسُ إِذْ قَدْ فَاضَ كَيخَمُنَا
لِأَخْذِ الْمُلْحِدِينَ لَنَا ضُبَاثُ المضبث المَاضِي	قِنَابُ اللَّيْثِ مِقْنَبه ومقنابٌ وَمِحْزَمُنَا
فتوخ الليث قنب الليث مخلبه وبرثنه	عكازيلٌ ومضبثه وعند البأس كردمنا
هز ابرنا هِزبرٌ هِزْبرٌزفرٌوأزهرنا	مجالحنا مبيحٌ قارحٌ غثثٌ وعرهمنا

ويتجلّى البعد التصويري في هذه الأبيات حين يصوّر الشاعر أثر الفقد على الكون بأسره، فتَبكي الكتب والأقلام ودارُ العلوم، ويتناثر الحزن على العقل والنقل، في مشهدٍ يُحيل إلى مكانة المرثي العلمية وما يمثّله من قيمة معرفية وروحية.
ثم تتّسع دائرة الرثاء لتشمل عناصر الوجود كافة؛ من الطير والحيتان إلى السهل والجبل، ومن الإنس إلى الجن، في حركة بلاغية تقوم على التعميم الكوني للحزن، بما يعكس ضخامة الخسارة ورمزية الفقيد في الوجدان العلمي والديني معًا. كما يختار الشاعر أوصافًا مستمدة من أسماء الأسد ونعوته، مثل مقرمنا وكيخمنا، في إحالة إلى الشجاعة والهيبة والقوة، إذ يحمّل هذه الدلالات الحيوانية المشحونة بالقوة رمزيةَ شخصية المرثي ومكانته القيادية.
ثم ينتقل الشيخ إلى وصف المرثي بأنه كان "ضباث المضبث الماضي" لأخذ الملحدين، وهو وصف يدل على قوة المرثي وشجاعته في مواجهة الإلحاد والانحراف. ثم يستمر في سرد أسماء الأسد، واصفاً بها المرثي، فهو "قناب الليث" و"مقنبه" و"مقناب" و"محزم" و"فتوخ الليث" و"قنب الليث" و"مخلبه" و"برثنه" و"عكازيل" و"مضبثه" و"كردم" و"هزابر" و"هزبر" و"هزبر" و"زفر" و"أزهر" و"مجالح" و"مبيح" و"قارح" و"غثث" و"عرهم". وهذه الأسماء كلها من أسماء الأسد، وهي تدل على قوة المرثي وشجاعته وهيبته.
والملاحظ أن الشيخ يضيف بعض أجزاء الأسد إلى أسمائه، مثل "مخلبه" و"برثنه"، وهي إضافات تزيد من قوة الوصف وتأثيره، إذ تجعل القارئ يتخيل الأسد بمخالبه وبراثنه، وهو ما يزيد من هيبة المرثي وقوته في نفس القارئ. كما يلاحظ أن الشيخ يستخدم بعض الأسماء التي تدل على صفات الأسد، مثل "زفر" و"أزهر"، وهي أسماء تدل على قوة الأسد وجماله، وهو ما يضفي على المرثي صفات القوة والجمال معاً.

البراعة اللغوية والمعجمية: لقد أظهر الشيخ في هذه القصيدة براعة لغوية فائقة، تجلت في قدرته على جمع فيها الشيخ ما يزيد على ستمائة اسم من أسماء الأسد ومشتقاتها، وتوظيفها في سياق شعري متماسك. وتعكس هذه البراعة اللغوية ثقافة الشيخ الواسعة، وإلمامه العميق بمعجم اللغة العربية، وقدرته على استحضار هذا المخزون اللغوي الهائل وتوظيفه في خدمة غرضه الشعري.

الاشتقاق والتوليد والإبدال: برزت في القصيدة ظواهر لغوية متعددة، كالاشتقاق والتوليد والإبدال، إذ استطاع الشيخ أن يشتق من الجذر اللغوي الواحد عدة أسماء، وأن يولد من الاسم الواحد عدة أسماء أخرى بتغيير صيغته، وأن يبدل حرفاً بحرف في الاسم فيحصل على اسم جديد. وقد أغنت هذه الظواهر اللغوية القصيدة وأثرتها بهذا الكم الهائل من أسماء الأسد.

الإبداع في توظيف المعجم اللغوي: تمثل القصيدة نموذجاً فريداً للإبداع في توظيف المعجم اللغوي، إذ استطاع الشيخ أن يحول معجم أسماء الأسد إلى قصيدة رثاء مؤثرة، تعبر عن مشاعره الصادقة تجاه شيخه ومعلمه. وهذا التوظيف الإبداعي للمعجم اللغوي يعكس قدرة الشيخ على التجديد والابتكار في الشعر العربي.

ومن النماذج التي تبرز جماليات الصورة البلاغية عند الشيخ ما جاء في رثائه للرئيس جمال عبد الناصر، (1)
حيث تتجلى في هذه الأبيات ظواهر بلاغية واضحة، تُظهر قدرة الشاعر على توظيف اللغة في التعبير عن الحزن والأسى، ومن ذلك قوله:

ألا يـــا حمـــام الأيـــك نـــوحي لبـــين مـــن ... فقـــدنا ولا نلقـــاه مـــاذرزاهـــر
نعـــى للبرايـــا راديـــو عبـــد ناصـــر ... رئـــيس لجمهوريـــة العـــرب ظـــافر
قـــدمع المعـــالي والمعـــارف مـــذرف ... وربـــع العلـــى قـــاع ومافيـــه صـــافر
فواحســـرتا لـــو تنفـــع القلـــب حســـرتي ... ووالهفنـــا ياليـــت لهفـــي يضافـــر

تتجلى في هذه الأبيات عدة مظاهر بلاغية تُبرز عمق العاطفة وقوة التعبير عند الشيخ، حيث عمد إلى استنهاض مشاهد الطبيعة واستدعائها في موقف الحزن، وذلك عبر نداء حمام الأيك للدلالة على الشجن والأسى، وهو توظيف بلاغي قائم على الاستعارة والتشخيص لإشراك الكون في حالة الفقد. كما يظهر التشبيه الضمني في تصوير انقطاع لقاء الفقيد بدوام إشراق الشمس، والكناية في جعل ربع العلى قاعًا للدلالة على خلوّ الساحة من أمثاله. وتغلب على الأبيات نبرة التحسر والتفجع، وقد دعمها الشاعر بألفاظ وجدانية وتكرار أساليب مثل التمني والنداء والندبة، مما يُكسب النص بعدًا عاطفيًا واضحًا، ويؤكد قدرة الشاعر على مزج التعبير الوجداني بالأساليب البيانية دون تكلف، مع حفاظه على جرس موسيقي ورثائي ينسجم مع الموضوع.

ومن النماذج التي تبرز جماليات الصورة البلاغية عند الشيخ ما جاء في قصيدة ذكر مشائخ ديوبند دموع الحسرة من فراقهم (2)

إنـــي هنـــا وهُـــمْ هُنـــاك وبيننـــا ... قلـــل الجبـــال وصـــار امـــرى اصـــعبا
يـــا عـــاد لـــي دعنـــي و ذكـــر مشـــايخي ... اذ لـــم أجـــد للتلـــو عـــنهم مَـــذْهَبًا
ســـل عَـــنْ أَحِبَّتِنـــا بِـــدو بَنـــدِ. اَلا ... دَعْ عَنْـــكَ سَـــلمى والرِّبَـــاب وَزَيْنَبَـــا

يصف الشيخ واقع الفراق بينه وبين مشايخه، فه هنا وهم هناك، وتفصل بينهم قمم الجبال العالية، وقد صار أمره أكثر صعوبة. وفي قوله: "إني هنا وهم هناك وبيننا قلل الجبال" مقابلة بين "هنا" و"هناك"، وهي مقابلة تعكس حالة الانفصال المكاني بينه وبين مشايخه. كما أن في قوله: "قلل الجبال" استعارة مكنية، حيث جعل الجبال كائنات حية تقف حائلاً بينه وبين مشايخه.

ويخاطب الشيخ نفسه أو مخاطباً افتراضياً، طالباً منه أن يتركه مع ذكر مشايخه، لأنه لا يستطيع الانصراف عنهم. وفي قوله: "يا عاد لي دعني وذكر مشايخي" أسلوب إنشائي (نداء وأمر) يعكس تعلقه الشديد بذكرى مشايخه، وعدم قدرته على نسيانهم أو الانصراف عنهم.

ثم يطلب من مخاطبه أن يسأل عن أحبته في ديوبند، وأن يترك الحديث عن سلمى والرباب وزينبا، وهي أسماء نسائية تتردد في الشعر العربي القديم. وفي هذا البيت تناص مع الشعر العربي القديم، خاصة شعر الغزل، ولكن الشيخ يصرف النظر عن هذا النوع من الشعر، ويوجه الاهتمام إلى مشايخه في ديوبند، مما يدل على قيمتهم العالية في نفسه، وتفضيله لهم على كل شيء.

---

(1) مجلة الحق ، المجلد 6، العدد ٢-١ (شعبان – رمضان ١٣٩٠هـ / أكتوبر نوفمبر ١٩٧٠م) : ص ٥٩.٦٣.)
(1) مجلة صحيفة نور كاندهله 2001 م ١٤٢١ هـ ص 42/41/40/39

يتجلّى في هذه الأبيات من شعر الشيخ محمد موسى الروحاني البازي عمقُ التجربة الروحية والعلمية التي تَوسَّمت حياته وشعره معًا. فالشاعر هنا لا يَبثّ شوقًا عابرًا، بل يَعبر عن حنين روحي إلى المشايخ وموطن العلم الذي تربى فيه، مما يعكس مكانة السند العلمي والرباط الروحي في تكوينه العلمي والسلوكي.

وقد وظّف الشاعر عددًا من الصور البلاغية الرفيعة الموحية، أبرزها المقابلة بين (هنا/هناك)، مما يعمّق الشعور بالفراق والمسافة الروحية قبل الجغرافية. كما تظهر الاستعارة والكناية في قوله: (وذكر مشايخي) إشارةً إلى لزوم طريقتهم العلمية والخلقية، وهو بُعدٌ يعكس رسوخًا في الهوية العلمية والتقوى التي اشتهر بها الشيخ.

وفي الإعراض عن الأسماء الغزلية المألوفة في الشعر العربي القديم (سلمى، الرباب، زينب) يبرز وعيٌ فني ورسالة تربوية؛ إذ يترك الشاعر تقاليد الغزل ليرفع قيمة الارتباط العلمي والروحي فوق العواطف الحسية، في نوع من التسامِي الوجداني والسموِّ التعبيري الذي يميز شعر العلماء الربانيين.

ومن خلال هذه لوحات التعبير الوجداني يتّضح أن الشيخ البازي يجمع بين الصدق الشعوري والبلاغة الأصيلة، موظفًا أدوات البيان لتقديم شعرٍ يحمل هويةً علمية وروحية، ويعكس جوهر شخصيته بوصفه عالمًا ربانيًا وشاعرًا متصوفًا بطابع معاصر

- **ومن النماذج التي تبرز جماليات الصورة البلاغية عند الشيخ ما جاء في قصيدة القصيدة الترحيبية(1)**

هذه القصيدة عملاً شعرياً يمزج بين العاطفة الجياشة والمدح الرفيع، وتتناول موضوعات الشوق والحنين، والفقد، والاعتزاز بالعلماء والأماكن المقدسة. وقد نظمها فضيلة الشيخ محمد موسى روحاني البازي من باكستان، ترحيباً بفضيلة الشيخ مولانا القاري محمد طيب،[2] المدير العام لدار العلوم ديوبند، بمناسبة الاحتفال السنوي لدار العلوم الحقانية أكوره ختك في 17 ربيع الثاني 1378 هـ تتميز القصيدة بأسلوبها البليغ وصورها الشعرية المعبرة، مما يضفي عليها قيمة فنية وأدبية عالية.

أولاً: الشوق والحنين والفقد

تبدأ القصيدة بتصوير حالة الشيخ الوجدانية، حيث يعبر عن قلبه الذي أصبح أسيراً للظاعنين، وهم هنا يرمزون إلى الأحبة الذين رحلوا أو الأماكن التي يفتقدها. هذا الأسْر ليس أسراً مادياً، بل هو أسْر روحي ناتج عن قريح الهوى الذي يسير نحو الحبيب. هذا الافتتاح يضع القارئ مباشرة في جو من الشوق العميق والألم العاطفي.

فؤادي بريع الظاعنين أسير قريح الهوى نحو الحبيب يسير

وعيني غزير الدمع سكيا بربعهم كودق سقى روضاً فكيف سرور

فلله يا سلمى أعيدي أسيرنا أسلمي إلى كم بالقلوب تغير

يُبرز الشيخ هنا شدة حزنه وكمية دموعه الغزيرة التي تسقي ربع الأحبة، مشبهاً إياها بالمطر الذي يسقي الروض. هذا التشبيه البليغ يوضح مدى الألم الذي يعانيه، فكيف يمكن أن يكون هناك سرور مع هذا الفقدان؟ يستنجد الشيخ بسلمى، وهو اسم تقليدي للمحبوبة في الشعر العربي، لتعيد أسيره، أي قلبه أو روحه التي أسرها الشوق. هذا النداء

---

(1) مجلة أنوار مدينة ، (عدد محرم ٥١٣٩٣) : من ٤٤ إلى ٤٣

(2) الشيخ محمد طيب القاسمي (1315هـ / 1897م – 1401هـ / 1982م) هو أحد أبرز علماء دار العلوم ديوبند في الهند، وأشهر رؤساء الجامعة (من 1338هـ / 1918م إلى 1401هـ / 1982م). ولد في ديوبند في أسرة علمية عريقة، وتلقى العلم على كبار علماء الديوبندية مثل العلامة محمود حسن الديوبندي وأنور شاه الكشميري. اشتهر بفكره العميق، وذكائه، وأساليبه العلمية في التدريس. له عدة مؤلفات ومآثر علمية.وكانت علاقته بالطلاب والأساتذة ملهمة للجميع، وقد لقب بـ"حكيم الإسلام" بفضل علمه وورعه وحسن تعامله مع الآخرين . ديوان دار العلوم ديوبند. (2000). الشيخ حكيم الإسلام محمد طيب القاسمي: حياته وعلمه (صـ 23-27). ديوبند، الهند: دار العلوم.

يحمل في طياته الرجاء واللوم في آن واحد، متسائلاً إلى متى سيبقى هذا التغير في القلوب. هذا التساؤل يعكس حالة من الحيرة والأمل في عودة الوصال.

ألاليت شعري هل أزورن ساعة مغاني بها كاس الرحيق تدور

بجنجوه دِلّى ديوبند و تانين و سرهند والأمير حل بدور

ديار أخلاء وقد حال بيننا جبال وإني دونها لَابُور

يعبر الشيخ عن أمنيته بزيارة الأماكن التي كانت تجمعهم، حيث كانت كؤوس الرحيق تدور، في إشارة إلى لحظات السعادة والبهجة التي قضوها معاً. يذكر الشيخ هنا أسماء أماكن ومدن هندية ذات أهمية دينية وعلمية، مثل ديوبند وسرهند، مما يؤكد السياق الديني للقصيدة. هذه الأماكن ليست مجرد مواقع جغرافية، بل هي مراكز للعلم، مما يضفي على القصيدة بعداً ثقافياً ودينياً. وذكر الأمير حل بدور قد يشير إلى شخصية ذات مكانة رفيعة حلت بهذه الأماكن، مما يزيد من أهميتها. يصور الشيخ هنا المسافة الشاسعة التي تفصله عن ديار أحبته، مشبهاً إياها بالجبال التي تحول دون الوصول. تعبير "لَابُور" يدل على العجز واليأس من الوصول، مما يعمق الإحساس بالفقدان والحسرة. هذا البيت يعكس صعوبة الوصول إلى تلك الأماكن أو الأشخاص، ويبرز قوة العوائق المادية التي تحول دون الوصال.

ثانيًا: العزاء والأمل ومدح الشيخ محمد طيب القاسمي ودار العلوم

بعد تصوير الحزن والفقد، ينتقل الشيخ إلى بث روح العزاء والأمل، مشيراً إلى وجود خلفاء وأعلام يحملون راية العلم والدين.

تعز فمولانا محمد طيب تناط به الآمال وهو جدير

بسكنة حد الله معهد قاسم العلوم هلال يا كرام فزوروا

يقدم الشيخ هنا شخصية أخرى عظيمة، وهو مولانا محمد طيب، الذي تناط به الآمال، مما يعني أنه يمثل استمراراً للعلم والهداية بعد رحيل الشيخ حسين أحمد المدني. وصفه بأنه "جديد" قد يشير إلى شبابه أو إلى تجدد الأمل بوجوده، أو إلى أنه يحمل فكراً متجدداً في العلم والدعوة. هذا يبعث على الطمأنينة بأن مسيرة العلم لن تتوقف. يشير الشيخ إلى "معهد قاسم العلوم"، وهو على الأرجح دار العلوم ديوبند، التي أسسها محمد قاسم النانوتوي. دعوة "فزوروا" هي دعوة لطلب العلم والاستفادة من هذا الصرح العظيم. هذا المعهد يمثل منارة للعلم.

ففي جَنَّتِي تلك العنادِل عندلت وَفِي أَيْكَتِي شَم للحمام هدير

وسجع قمري وورقاء غنت وتلك هزار غردت و تطير

يستخدم الشيخ هنا صوراً طبيعية جميلة لوصف الأجواء العلمية والروحانية في المعهد. "جَنَّتِي" و"أَيْكَتِي" قد تشيران إلى المعهد نفسه، أو إلى قلب الشيخ الذي يجد الراحة في هذا المكان. أصوات العنادِل والحمام والقمري والورقاء والهزار كلها رموز للجمال والهدوء والسكينة، وتوحي بأن هذا المكان يعج بالحياة والعلم، وأن طلاب العلم فيه يصدحون بالحق كما تصدح الطيور بأصواتها الجميلة. هذه الصور البديعة تذكرنا بجمال الجنة التي وعد بها المتقون، حيث الأنهار والطيور المغردة.

أيا أيها الديوبند لَا تَعْدِم الَّذى لروضك نور بل لنورك نور

لسحبك فيض بَلْ لِفَيُضِك عارض نور بدار علوم للعيون يدير

يخاطب الشيخ ديوبند مباشرة، مؤكداً أنها مصدر للنور، بل إن نورها يضيف نوراً إلى الروض. هذا التعبير يبرز الدور المحوري لديوبند كمركز إشعاع علمي وديني، وأنها ليست مجرد مكان يتلقى النور، فديوبند هنا هي وسيلة لنشر هذا النور الإلهي. يستمر الشيخ في مدح ديوبند، مشبهاً سحبها بالفيض الذي يغمر الأماكن بالنور. هذا الفيض ليس مجرد عطاء، بل هو فيض يولد نوراً يدور في دار العلوم، ويراه الجميع. هذا التشبيه يعكس العطاء العلمي والمعرفي الذي تقدمه ديوبند، والذي ينتشر ليضيء العقول والقلوب. هذا الفيض من العلم يذكرنا بحديث النبي ﷺ: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً"[1]

تُظهر هذه الأبيات ملامح العاطفة الصادقة والحنين العميق في شعر الشيخ محمد موسى الروحاني البازي، حيث تتجلّى الصور البلاغية في أبهى مظاهرها. فالشاعر يفتتح قصيدته بصورةٍ مؤثرة تمزج بين الاستعارة والتشبيه، حين يجعل قلبه "أسيرًا للظاعنين" ويشبّه دموعه بالمطر الذي يسقي الرياض، فيقول: وعيني غزير الدمع سَكْيا بربعهم كودقٍ سقى روضًا فكيف سرور. هذه الصورة البليغة تعبّر عن عمق الفقد ولوعة الاشتياق، وتجسّد الألم الروحي في هيئة طبيعية حيّة.

ويبرز في الأبيات أيضًا جمال النداء في قوله: فلله يا سلمى أعيدي أسيرنا، حيث يجمع بين الرجاء والعاطفة، وبين التوسّل والعتاب، في توظيفٍ إنشائي يضفي نغمة وجدانية على النص. كما يعتمد الشيخ على التكرار اللفظي والمعنوي لتعميق الأثر العاطفي وإبراز دوام الشوق.

أما من الناحية الفنية، فقد نجح الشاعر في استخدام التصوير المكاني، حين استدعى مدنًا مثل ديوبند وسرهند وتانين، لتكون رموزًا للحنين إلى مواطن الصفاء والعلم والروحانية. وجاء الطباق في "حال بيننا جبال" و"لَابور" ليدلّ على التباعد واليأس، ويعكس صراع النفس بين الأمل والحنين.

إنّ هذه الأبيات تكشف عن مقدرة الشيخ البازي على الدمج بين العاطفة الصوفية والخيال الشعري، فصوره البلاغية لا تنبع من الحسيّات فحسب، بل من تجربة وجدانية صادقة تجعل القارئ يعيش ألم الفقد وحرقة الاشتياق، في لغةٍ تفيض رقةً وسموًّا روحيًا.

([1]) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من علّم وعلِم (حديث رقم: 79).

ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث الله به النبي ﷺ (حديث رقم: 2282).

الخاتمة

بعد هذا العرض والتحليل يتضح أنَّ الشيخ محمد موسى الروحاني البازي لم يكن شاعرًا تقليديًا فحسب، بل كان عالِمًا أديبًا جمع بين عمق الفكر الديني وجمال التعبير الفني. فقد أظهر شعره توازنًا بين العاطفة الصادقة والبيان الرصين، .وجاءت قصائده متألقة بمعانٍ روحية سامية تنبع من قلبٍ مؤمنٍ متصل بالله تعالى.

كشفت الدراسة أن شعر الشيخ يتسم بخصائص أسلوبية واضحة أبرزها دقّة اختيار الألفاظ، وتماسك البناء الإيقاعي، وحضور التكرار الإنشائي بوصفه أداة للتوكيد والتعبير العاطفي. أما من الجانب البلاغي، فقد أبدع في توظيف التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز بما يخدم المعنى الديني والوجداني، دون تكلفٍ أو غموض.

لقد مثّل الشيخ البازي في شعره نموذجًا للأدب الإسلامي الواعي، الذي يوظّف البلاغة لخدمة العقيدة، ويجعل من الفن وسيلةً للذكر والدعاء والتعبير عن معاني الإيمان واليقين. كما أظهر في قصائده عن الأسماء الحسنى والنبي صلى الله عليه وسلم، وعن الرثاء والحنين، مقدرةً فنية تجمع بين الأصالة التراثية والصدق الروحي.

ويمكن القول في ختام هذا البحث إنَّ الشيخ محمد موسى الروحاني البازي ترك تراثًا شعريًا خالدًا يجمع بين الروحانية والعلم والبيان، ويستحق مزيدًا من الدراسة والتحليل للكشف عن أبعاده الجمالية والفكرية. فهو شاعرٌ استطاع أن يجعل من البلاغة طريقًا إلى القرب من الله، ومن الشعر وسيلةً لترقية الذوق والإحساس، فجمع بين الإيمان والفن، والعلم والجمال في أروع صورها.

المصادروالمراجع

1. القرآن الكريم (عدة مواضيع)
2. البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من علّم وعلِم (حديث رقم: 79).
3. صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث الله به النبي ﷺ (حديث رقم: 2282)
4. البازي، محمد موسى الروحاني. البركات المكية في الصلوات النبوية. إدارة التصنيف والأدب، لاهور، 2013م.
5. البازي، محمد موسى الروحاني. بغية الكامل السامي. ط. 2006إدارة التصنيف والأدب، لاهور
6. البازي، محمد موسى الروحاني. الكنز الأعظم في تعيين اسم الله الأعظم. إدارة التصنيف والأدب، لاهور، الطبعة السابعة، 2020م.
7. البازي، محمد موسى الروحاني. الهيئة الصغرى. إدارة التصنيف والأدب، لاهور، الطبعة الثامنة، 2020م.
8. البازي، محمد موسى الروحاني. النهج السهل إلى مباحث الآل والأهل. إدارة التصنيف والأدب، لاهور، 2013م.
9. البازي، محمد موسى الروحاني. فتح الله بخصائص اسم الله. إدارة التصنيف والأدب، لاهور، 2016م.
10. البازي، محمد موسى الروحاني. قصيدة طوبى في أسماء الله الحسنى. دار الحسنين، لاهور، 1998م.
11. البازي، محمد موسى الروحاني. فتح الصمد في نظم أسماء الأسد. إدارة التصنيف والأدب، لاهور دون تاريخ.
12. البازي، محمد موسى الروحاني. قصيدة حسنى في أسماء النبي العظمى. إدارة التصنيف والأدب، لاهور لاهور
13. مجلّة أنوار مدينة، عدد محرم، 1393هـ
14. عبدالله ، محمود محمد – اللغة العربية في باكستان
15. عبد الرحمن، دنيائے علم کا مینار، مجلة ا لصيانة، ربيع الأول 1420هـ
16. مجلّة الحسن، لاهور، مارس 2007، العدد الخاص من "جامعة أشرفية".

17.مجلّة محلة الحق، المجلد 6، العدد 1-2، أكتوبر/نوفمبر 1970م.

18.فيوض الرحمن، علماء سرحد کی تصنیفی خدمات، ط. فرنیشر پبلشنگ

19. فيوض الرحمن (الدكتور) : مولانا محمد رسول خان رحمه۔